Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

إشكالية ترميم المعالم الأثرية في ظل تضارب الكتابات حول بعض المدن أثناء الفتوحات الإسلامية.

Problème de la restauration des monuments archéologiques dans le contexte des écritures contradictoires sur les villes pendant la conquêtes Islamiques.

باشي زين الدين – BACHI ZINEDDINE1
جامعة الجزائر2- institut d'archéologie université d'Alger2
c.bachihumain@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2019-05-24 تاريخ القبول : 2020-12-11

ملخص:

يتناول بحثنا هذا طرق الحفاظ على كمال وأصالة الأثر وشروط تحقيق عملية الحفظ والترميم، والمتعلقة أساسا بمراحله التاريخية والتي يصعب تحقيقها في ظل غياب المصادر الكتابية حول تطور الأثر خلال هذه المراحل وتدرج كماليته.

ارتكزنا في بحثنا هذا حول عوائق عمليات ترميم وحفظ المباني والمواقع الأثرية خاصة في اقليم الأوراس والمتمثلة في المراحل التاريخية الانتقالية بين التواجد البيزنطي والفتح الإسلامي، حيث تعتبر قلة الكتابات وندرتها وفي أغلب الأحيان تضاربها هاجسا أمام تحقيق شرطي الكمال الأصالة في عمليات الترميم والحفظ

نجيب عن إشكاليات البحث، الملخصة في ثلاث إشكاليات: إشكالية تاريخية وعدم استيفاء المصادر التاريخية للوصف الدقيق للمعالم، إشكالية أثرية وخطأ طمس المراحل التاريخية الإسلامية في جل المواقع الأثرية ضمن أبحاث التنقيب خلال الفترة الاستعمارية، إشكالية تقنية ضمن شروط الترميم وتهيئة المواقع الأثرية الحفاظ على كمال وأصالة الأثر.

الكلمات الدالة: شواهد، إسلامية، الفتوحات، تضارب، الكتابات، إشكالية الترميم.

Résumé

Pour une bonne préservation des vestiges patrimoniaux, un processus de conservation et de restauration s'impose, relié principalement aux récits historiques qui nous relatent les étapes qui se sont succédé. Opération qui n'est pas facile à réaliser en l'absence de ces ressources.

Cependant, nous devront faire face aux des obstacles historiques qu'on peut rencontrer pendant la restauration et à la préservation des bâtiments et des sites archéologiques, en particulier dans la région des Aurès, notamment la phase de la transition entre la période byzantine et musulman .

On a abordé cette recherche avec une méthodologie historique analytique, archéologique et descriptive comparative, en se basant sur les cartes et les graphiques statistiques comme outils de recherché, Pour résoudre cette problématique et comme résultat de la recherche: on a de mettre en place la comparaison entre les preuves archéologiques et les indices d'une manière objective, de vérifier l'authenticité des résultats de recherches archéologiques effectuées au cours de la période coloniale, et les comparer aux écrits de la période islamique ; Ainsi, établir une coopération conjointe entre les pays voisins pour

élaborer un plan systématique de la conservation et la restauration et la réhabilitation de ces vestiges archéologiques.

La rareté des récits ne peut isoler cette opération, même possible d'être réalisable partiellement pour apporter des relectures et des éclaircissements autour de ces vestiges.

Mots clés: preservation,vestiges, période, musulman, méthodologie

1. مقدمة:

يعد الحفاظ على كمال وأصالة الأثر شرطا لابد من تحقيقه أثناء اي عملية حفظ وترميم، وتتعلق أصالة الأثر أساسا بمراحله التاريخية ولذلك يصعب تحقيقها في ظل غياب المصادر الكتابية حول تطور الأثر خلال هذه المراحل وتدرج كماليته، والذي لا يمكن حصره في اطار زماني معين نظرا لاستمرارية استعمال الأثر الى يومنا هذا.

إن أكبر عائق تاريخي يصادفنا في عمليات ترميم وحفظ المباني والمواقع الأثرية خاصة في اقليم الأوراس هي المراحل التاريخية الانتقالية بين التواجد البيزنطي والفتح الإسلامي، حيث تعتبر قلة الكتابات وندرتها وفي أغلب الأحيان تضاربها هاجسا أمام تحقيق شرطي الكمال الأصالة في عمليات الترميم والحفظ، خاصة وقد درجت الأبحاث ابان الفترة الاستعمارية على طمس جزء مهم من التاريخ الإسلامي لهذه الشواهد وإبراز كل ما هو روماني اوروبي، لتبرير النظرية الاستعمارية.

نتناولنا بحثنا هذا من خلال ثلاث إشكاليات، الإشكالية التاريخية وعدم استيفاء المصادر التاريخية للوصف الدقيق للمعالم، الإشكالية الأثرية وخطأ طمس المراحل التاريخية الإسلامية في جل المواقع الأثرية ضمن أبحاث التنقيب خلال الفترة الاستعمارية، الإشكالية التقنية ضمن شروط الترميم وتهيئة المواقع الأثرية الحفاظ على كمال وأصالة الأثر.

2. الإشكالية التاريخية:

هي اولى إشكاليات ترميم وتهيئة المواقع الأثرية القديمة، من الملاحظ في تاريخ الأوراس إبان الفتح الإسلامي من خلال المصادر الإسلامية إغفال ذكر الكثير من المدن العمرانية وتحوير أسمائها[i] بسبب عدم توافق الأبجديات اللغوية بين اللاتينية والعربية، ولذلك يصعب تتبع تاريخ وتطور العمران للمدينة خلال فترات الفتوحات الإسلامية والفترات المتأخرة من التاريخ القديم.

شكل 1: خريطة لمدينة تيمقاد الأثرية بجميع مراحلها التاريخية، يظهر من خلالها تشييد

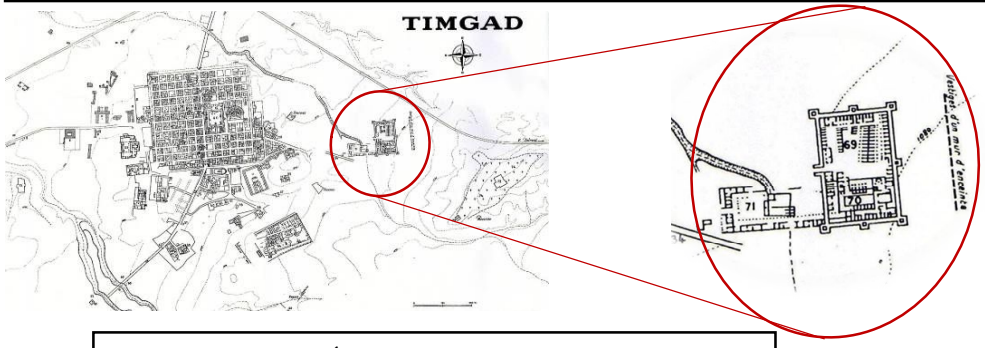

المصدر: عن اتفاقية تصنيف الموقع الأثري تيمقاد، 1982

إن ما أورده كل من النويري والبكري، ابن الأثير، ابن خلدون، ابن عذارى، الإدريسي، المقدسي، الواقدي، اليعقوبي، ياقوت الحموي وغيرهم من جغرافيي ومؤرخي الفترة الإسلامية في ذكرهم لأخبار المدن والعمران بالأوراس، لا يعدو سوى كونه وصف أدبي لحيثيات الحياة والطبيعة المحيطة بالعمران دون التطرق بالذكر للتطور او التدهور العمراني الذي مس المعالم خلال فترة الفتوحات الإسلامية او مابعدها، نظرا لتدرج الفتح على عدة مراحل.

النصر.

خاصة إذا تعرضنا بالتفصيل لعمليات الترميم التي طالت الكثير من المعالم خلال الفترة القديمة، منها ما علم استنادا إلى المعطيات الأثرية وكثير منها مجهول، نتيجة هذين العاملين، وبغض النظر إذا كانت كل من هذه المراحل تمثل تارخا من أصالة المعلم وأن لكل منها خصائصه، فإنها كانت تسعى وبوجه عام معلوم ام مجهول، الى إقصاء الطرف الآخر.

3. الإشكالية الأثرية:

إستنادا الى معطيات الإشكالية التاريخية، فإن الجزم بمصداقية المعطيات الأثرية في إطار الأبحاث المنجزة إبان الفترة الإستعمارية يعتبر من أكبر المغالطات العلمية، في كتابة التاريخ، حيث تعتبر الأبحاث المنجزة خلال الفترة الإستعمارية طمسا لكل ماهو إسلامي بما في ذلك فترة الفتوحات الإسلامية التي تتميز بقلة شواهدها، وهذا ما نلاحظه من خلال الأبحاث المنجزة من طرف أ.بالو ، و ل. ليثي، بتيمقاد او بلامبايزيس، وكذا قوديبه و برنارد بديانا فيتيرانوروم.

كما أن جل المدن القديمة اثناء الفتح الإسلامي قد خضعت نتيجة هجرانها الى دمار اجزاء منها نتيجة عامل الزمن من جهة، ضف الى ذلك استنزاف مواد بنائها أثناء إستقرار الفتوحات الإسلامية والإستغناء عن المهجور منها كنظرية نبذ لما قد خرب، و شيدت على اثرها عدة مدن وتجمعات جديدة بجانبها، كمدينة طبنة، وامدوكال، وسيدي عقبة، وبسكرة، وباغاي، وتبسة، ....الخ.

ان مانلمسه هنا واقعين مختلفين في الطريقة أحدهما يستهدف استحداث تجمعات سكانية على انقاض النسيج العمراني القديم خاصة وأن الفترة البيزنطية قد أتت على العديد من الحواضر والمدن النوميدية التي كانت خلال العهد الروماني أهم نقاط حضارية، وغيرت وجهها المعماري الى خراب نتيجة الصراع القائم آنذاك بين البيزنطيين والممالك النوميدية، حيث استنزفت القلاع البيزنطية الكثير من مواد البناء من المعالم المشكلة للمدينة الرومانية، كما هو الحال في قلعة تيمقاد المبنية على انقاذ المجمع الديني الإستشفائي(**Aqua SEPTIMIANA**)، وقلعة ديانا فيتيرانوروم المبنية على انقاض قوس

باستعمال نفس مواد البناء، حولت هذه المعالم الأثرية الى مقالع في فترة زمنية معينة، في حين يستهدف الآخر مسح طبقات ستراتيغرافية باكملها من تاريخ المدن والمعالم الدالة على الإستقرار البشري في فترة مابعد الفتوحات الإسلامية، تبريرا للنظرية الإستعمارية، مما تولد عنه اشكاليات كبيرة حول تاريخ المعالم ابان فترة الفتوحات الإسلامية، ومخلفات الحملات الإسلامية على بلاد المغرب واستقراءاتها من خلال التواجد والإستقرار مابعد الفتح؟

لتبقى عدة مواقع أثرية محفوظة تحت الأرض تعد على اصابع اليد، تحتفظ بأسرار الفتح لم يتم البدئ بالتنقيب عنها بعد.

4. الإشكالية التقنية:

من المعلوم ان تهيئة وترميم اي موقع او معلم اثري يخضع بالضرورة الى مجموعة شروط تقنية، قد نص عليها ضمن القوانين الوطنية والمعاهدات والإتفاقيات الدولية، حيث يعتبر فيها الحفاظ على كمال واصالة الأثر شرطان اساسيان لأي عملية ترميم، ولتحقيق هذين الشرطين لابد من توافر المراحل التاريخية للأثر، سواء من خلال المصادر التاريخية او أثناء عملية البحث الأثري وكنتيجة له.

واستنادا الى ما تقدم فان جزءا كبيرا من المعطيات التاريخية للمواقع الأثرية قد اندثر نتيجة لسوء الإستغلال وتعمد إقصاء أجزاء من تاريخها، وكعامل مشترك للسببين فان الإشكالية التقنية تكمن اساسا في البحث في ملابسات هذه القضايا.

ومع التطور العلمي والتكنولوجي اليوم، واستحداث مناهج للبحث الأثري[ii] والميداني تتوافق وإشكاليات البحث والترميم، فإن ستراتغرافية المعلم وسياقه الستراتغرافي الأثري في الغالب

يسرد تاريخه وتطوراته إذا ما استثنينا الأبحاث المنجزة خلال الفترة الإستعمارية، لما لها من خلفيات وتاثيرات على مسار المعالم وتاريخها، نتيجة لعدم تناسبها ومناهج البحث الأثري الحديثة.

من خلال التجربة العلمية التي اجريت بالجزائر العاصمة والمبينة في المخططات والصور حول الأبحاث الأثرية الوقائية لموقع محطة التراموای بساحة الشهداء القصبة السفلى، حيث تم الكشف عن الكنيسة المسيحية (البازيليكا)، التي وبعد التخلي عن استغلالها لأسباب تبقى مجهولة تحولت الى مقبرة مسيحية، شكل 02 و03.

شكل 04 مخطط الطريق الذي عثر عليه اثناء عملية التنقيب بموقع ساحة الشهداء والذي يعود للفترة

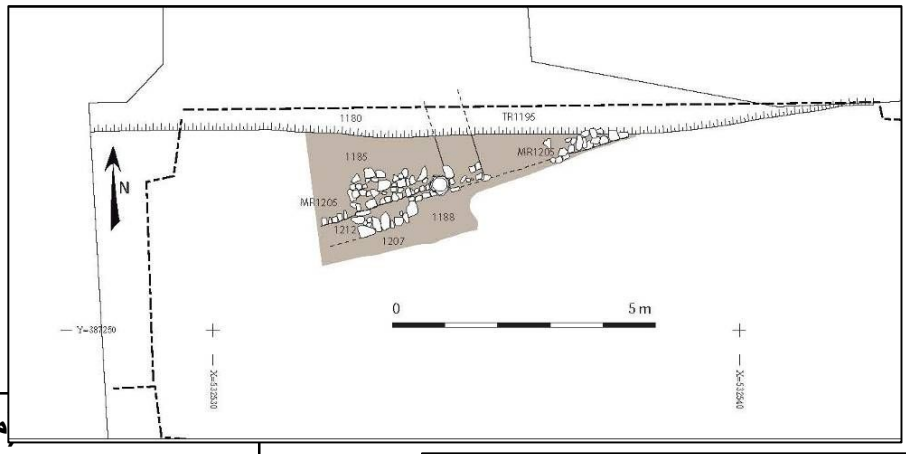

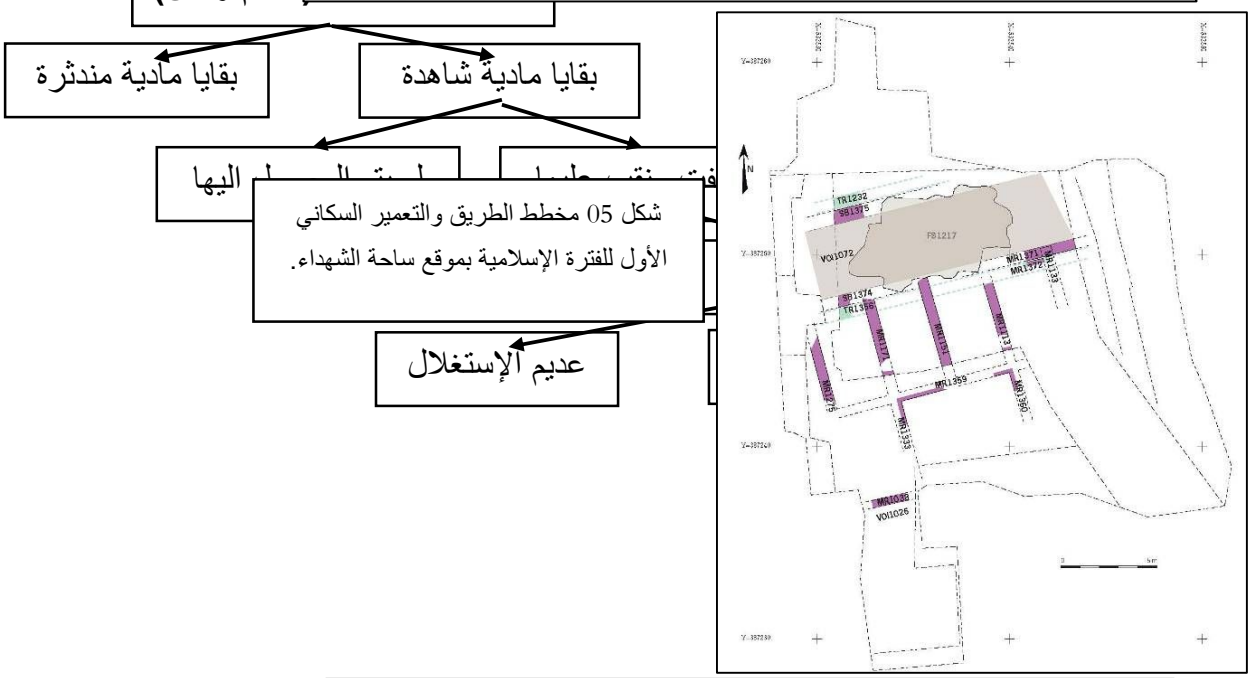

شكل 05 مخطط الطريق والتعمير السكاني الأول للفترة الإسلامية بموقع ساحة الشهداء.

المصدر: عن وزارة الثقافة، التقرير النهائي عن حفرية ساحة الشهداء، 2010

شكل 02 يمثل الكنيسة المسيحية بموقع ساحة الشهداء.

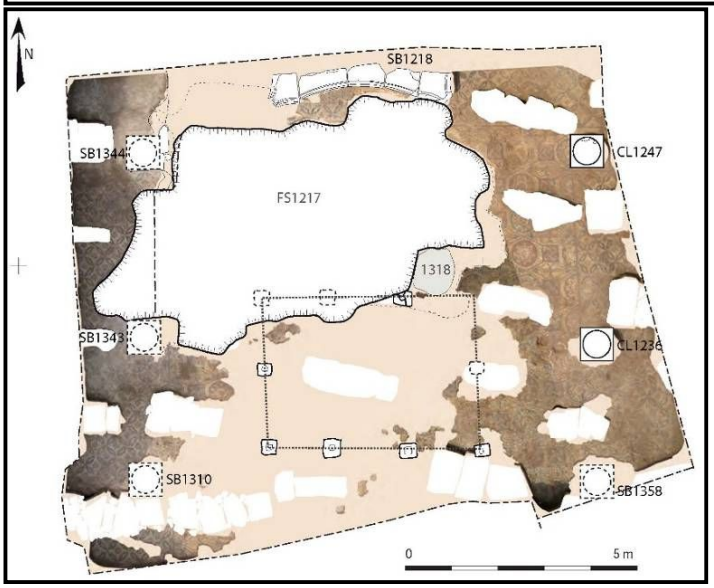

في المقابل فان الفترة الإسلامية الممتدة الى غاية التواجد العثماني من خلال الشواهد والتوضعات الستراتغرافية بالموقع، فقد تميزت بقلة الشواهد الأثرية باستثناء آثار لشق الطرق وقنوات وجدران يصعب قراءة سياقها المعماري الأثري، شكل 04و 05.

شكل 03 يمثل المقبرة المسيحية بالكنيسة (شكل 2) بموقع ساحة الشهداء

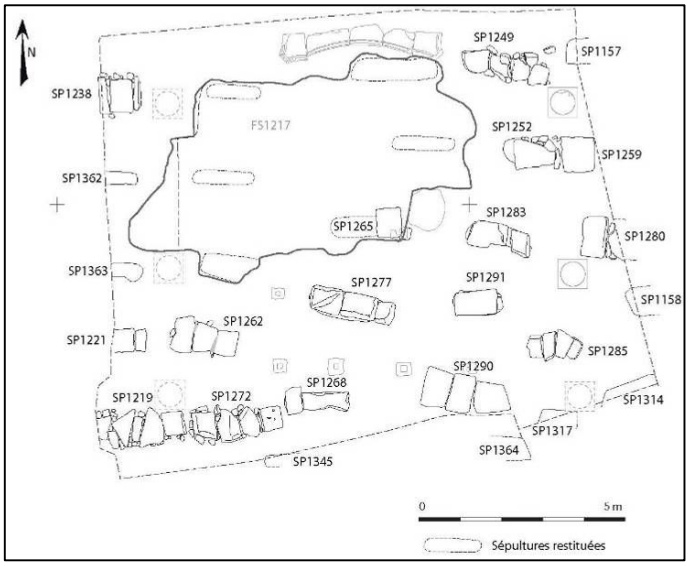

المصدر: عن وزارة الثقافة، التقرير النهائي عن حفرية ساحة الشهداء،

5. خاتمة:

من خلال عرضنا للإشكاليات السابقة، وإستدلالنا بعينة من الأبحاث الأثرية المعاصرة اخترقت الطبقات الستراتغرافية بموقع القصبة السفلى مركز حكم الجزائر العثمانية، وأعطتنا قراءة حول مايمكن تسميته بداية العصر الوسيط، يتضح مدى صعوبة استقراء تاريخ المعالم خلال فترة الفتح الإسلامي، بالأخص إذا تعلق الأمر بمنطقة الأوراس.

إن مافقد من مصادر حول العمران الإسلامي سواء بالمشرق او بالمغرب نتيجة عدم الإستقرار، جعلنا نحاول تلمس الإجابات في الشواهد الأثرية التي تبقى قابلة للتأويلات حسب السياق التاريخي والعمراني لها، وإقترانها بمعطيات أثرية أخرى كالمخطوطات والفخاريات وغيرها.

ولحل هذه الإشكالية وكنتيجة للبحث: اقترحنا انه وجب مقارنة الدلائل والقرائن الأثرية بموضوعية بعيدا عن الإجتهادات الذاتية.

التدقيق في الأبحاث الأثرية المنجزة خلال الفترة الإستعمارية، ومقارنتها مع الكتابات في الفترة الإسلامية.

التعاون المشترك بين الدول المجاورة والمقابلة لرسم خطة منهجية من اجل الحفظ والترميم ورد الإعتبار لهذه المخلفات الأثرية.

لا ينفي إنعدام الكتابات والمخططات عن الإجتهاد بمقارنة المعالم ومطابقتها مع نظيراتها من نفس النمط، وفي حالة الإستحالة الإكتفاء بالترميم الجزئي من أجل توضيح مقروئية هذه المعالم.

7. الهوامش:

6. قائمة المراجع:

1- رودريغو مارتين غالان: مناهج البحث الأثري ومشكلاته، تعريب وتقديم خالد غنيم، بيسان للنشر والتوزيع،ط1، مدشق، 1998.

2- عبيش يوسف: - الإحتلال البيزنطي لبلاد المغرب دراسة للأوضاع الإجتماعية والإقتصادية، دار بهاء الدين للتوزيع والنشر، الجزائر، ط1، 2009.

- الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية لبلاد المغرب أثناء الإحتلال البيزنطي، أطروحة دكتوراه دولة، اشراف أ.د محمد البشير شنيتي، جامعة قسنطينة، 2007/2006.

3- وزارة الثقافة: الجزائر ساحة الشهداء تطور حي القصبة السفلى من الفترة القديمةّ، التقرير النهائي لعملية التشخيص، الجزائر 2010.

4- M.C. BERDUCOU : LA CONSERVATIONEN ARCHÉOLOGIE, Masson. Paris. 1990.

i)- نذكر على سبيل المثال لا الحصر، لامبيزيس التي اختلف في تسميتها في المصادر الإسلامية، حيث تكمن إشكالية مطابقة اسم "لاميس" مع مدينة لامبيزيس، فقد أوردها النويري تحت اسم "لميش" مباشرة بعد "بغاي" في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب"، تيمقاد هي الأخرى لمتذكرها المصادر الإسلامية رغم الأهمية التي تكتسيها، مما يجعلنا نتساءل رغم أننا نعرف بفضل النصوص الأثرية أن حركية البناء كانت موجودة إلى غاية منتصف القرن السابع.

ii)- في هذا الموضوع أنضر، رودريغو مارتين غالان: مناهج البحث الأثري ومشكلاته، تعريب وتقديم خالد غنيم، بيسان للنشر والتوزيع،ط1، مدشق، 1998